كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.د. احمد راشد

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ العراق الحديث

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern History of Iraq

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: العثمانيون يستعيدون حكم العراق

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية : The Ottomans restore the rule of Iraq

العثمانيون يستعيدون حكم العراق

محاولات العثمانيين لاستعادة العراق:

كان سقوط بغداد في ايدي الصفويين أمر في غاية الخطورة بالنسبة الى الدولة العثمانية، وعلى الرغم من مرحلة الضعف التي كانت تمر بها آنذاك، فانها لم تتوان عن محاولة(استعادة أنبل مدن آسيا .) فأرسلت عام ١٠٣٥ هـ /١٦٢٠ م حملة بقيادة الصدر الأعظم حافظ باشا فتقدم وحاصر بغداد ستة أشهر، ولم ينجح في دخولها .فتقدم الشاه عباس على أ رس جيشه للاحتفاظ بالمدينة، ووقعت اشتباكات بين الجيشين العثماني والصفوي .ولكن طول مدة الحصار من جهة، وما كانت تعانيه القوات العثمانية من نقص في المؤن والذخيرة والخيول من جهة اخرى، دفعت بالانكشارية إلى التمرد على الصدر الأعظم، مما اجبره على الانسحاب.

ثم ارسلت الدولة العثمانية حملة ثانية بقيادة(خسرو باشا)في ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩-١٦٣٠ م حاصرت بغداد اربعين يوما، انسحب بعدها خسرو الى الموصل. دون أن يحقق غرضة ولما ولى السلطان مراد الرابع نجح في القضاء على روح التسيب والفتنة في الدولة، واعاد القانون والانضباط واهتم باستعادة بغداد واعد حملة استعد لها استعدادا دقيقا.

حملة مراد الرابع واحتلال بغداد :

تحرك السلطان على أرس قواته من اسكودار في شوال سنة ١٠٤٧ هـ/ ١٦٣٨م، والتحقت بالجيش خلال التقدم قوات من عدد من مدن الاناضول اضافة الى عدد كبير من القبائل العربية بقيادة(امير الصحراء)ابن ابي ريشة، وقام رجال هذه القبائل بدور مهم في تمهيد الطريق أمام قوات السلطان وتزويدها بالمؤن ايام حصارها لبغداد .وفي منتصف تشرين الثاني ١٦٣٨م ، وصلت القوات العثمانية قرب بغداد وأقيم معسكر السلطان بالقرب من الاعظمية. وكانت بغداد تقوم على الجانب الشرقي من دجلة، ويحيط بالمدينة سور طوله ثلاثة أميال مبني بالآجر ويكتنفه خندق عرضه ستون ذراعا يسده نهر دجلة بالمياه،

وكان قسم من السور المحيط بالجهة الشرقية من المدينة دائريا تقريبا ويبلغ ارتفاعه ما بين ١٠ الى ١٥ذراعا .وتنتصب في الزوايا الرئيسية من السور ابراج كبيرة اقيمت فيها المدافع، في حين تقوم ابراج أصغر تقع على مسافات قصيرة فيما بينها يبلغ عددها مائة وثانية عشر برجة في جوانب السور المواجهة للبر وخمسة وأربعين برجا تشرف على النهر، وكان بين كل برج وآخر خمسون فتحة لإطلاق نيران المدافع والبنادق، وبين كل فتحة واخرى خطوة واحدة .وفي الزاوية الشمالية الغربية من السور تنتصب القلعة الداخلة التي يطوقها حائط مفرد يبدأ من باب المعظم الى دجلة، ترتفع عليه ابراج صغيرة نشبت فيها المدافع، ويحدق بسورها خندق ضيق.

وهذه القلعة تضم الثكنات ومخازن الذخيرة والمؤن بالاضافة الى الخزينة، والى جوارها من جهة الجنوب يقوم السراي حيث مقر الوالي، وفي الأسوار ابواب اربعة. ثلاثة منها من جهة البر وهي :باب المعظم في الشمال، والباب المظلم او باب كلواذى في الجنوب، والباب الابيض او الباب الوسطاني في الشرق، اما الباب الرابع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر .والأخير يربط ما بين بغداد والجهة المقابلة من دجلة حيث تنصب قلعة الطيور.

كان عدد أفراد الحامية الايرانية يزيد على ٣٠٠٠٠ رجل معززة بالسلاح والذخيرة .وبعد حصار دام أربعين يوما تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة، فطلب التسليم وايقاف القتال ووافق السلطان على الطلب، وتم الاتفاق على انهاء المقاومة وانسحاب الإيرانيين من بغداد .ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت الفوضى وحوادث النهب والقتل، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جدا، وقتل معظم رجال الحامية، ولما توقفت الاشتباكات أصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم .ثم اتخذ الإجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين(كجك حسن)أغا الانكشارية واليا كما ترك حامية من ٨٠٠٠ انكشاري بقيادة(بكتاش اغا)وأمر الصدر الأعظم بإعادة بناء الأسوار والاستحكامات .ثم غادر بغداد عائدة الى القسطنطينية.

تثبيت حدود العراق الشرقية :

وأمضى الصدر الاعظم مصطفى باشا قرابة الشهرين في بغداد اهتم خلالها بإعادة بناء التحصينات، وبناء ما تهدم من المنازل والاسواق، وإعادة زرع البساتين. وقرر تأمين بغداد من الشرق، فتحرك على رأس قواته متجها شرقا ، ثم وصل اليه مبعوث من طالبا انهاء العداوات .ووافق الصدر الأعظم على المرض وارسل رسالة إلى الشاه طالبا منه ان يرسل شخصا مخولا بصلاحية مطلقة لتحقيق شروط السلام بين الدولتين .وعين الشاه مبعوثا لهذه الغاية وجرت المفاوضات بين الجانبين في زهاب، وفي ١٤محرم ١٠٤٩ هـ/ ١٧ مايس ١٦٣٩ م تم التوصل الى معاهدة لتحديد الحدود، وتعد هذه المعاهدة اكمل المعاهدات التي عقدت بين الجانبين العثماني والايراني حتى ذلك الوقت، وقد فات تلك الحدود، على الرغم من عدم دقة رسمها، ثابتة تقريبا، لأكثر من قرنين من الزمن .وشكلت معاهدة زهاب هذه، نقطة الارتكاز حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما قامت لجان مشتركة على رسم الحدود.

ومما جاء في تلك المعاهدة ان تظل ضمن ولاية بغداد جنان و بدرة ومندلي ودرتنك ودرنة والسهول الواقعة بين مندلي ودرتنك .كما تبقى اجزاء من هارونية التي تقطن فيها قبائل الجاف وضياء الدين ضمن حدود الولاية .وتهدم قلعة زنجير، والقرى الواقعة غربها تابعة للسلطان، أما القرى الواقعة شرقها فتابعة للشاه .وخط الحدود في شهرزور هو الشعب المؤدي اليها .وتظل تابعة للسلطان قلعة قزلجة مع توابعها.

ويتعهد الشاه بعدم التحرش والتعرض لقلاع اخسخة وقارص وشهرزور وبغداد والبصرة والمناطق الواقعة ضمن الحدود، وبعدم تشجيع حركات التمرد ضمن هذه الأماكن.

الأحوال العامة :

سببت سنوات الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثمانية الكثير من الدمار والخراب في بغداد .وقد تميز تاريخ ولاية بغداد حتى اوائل القرن الثامن عشر بالاضطراب وكثرة تغيير الولاة، اذ حكم في الحقبة ١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م ١١١٦ هـ ١٧٠٤م تسعة وثلاثون والياً، لم يترك واحد منهم عند عزله او نقله أثراً يذكر باستثناء اربعة قام احدهم ببناء ثلاثة أبراج لسور بغداد وجامع الأزبك، وبني الثاني جامع الخاصكي، وقام الثالث بتطهير نهر الدجيل، اما الرابع فبنى مدرسة قرب جامع القمرية .وقد ساعدت سرعة تغيير الولاة على خلق حالة عدم الاستقرار.

ومن المظاهر الأخرى لهذا العهد، كثرة تمردات الانكشارية، واضطراب حالة الأمن خارج اسوار المدن وادى ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة في الزراعة والتجارة. ورافق ذلك كثرة الاوبئة والفيضانات والقحط التي أسهمت في تعطيل الفعاليات البشرية .وبلغ التدهور الاقتصادي درجة بحيث أن علي باشا والي بغداد سنة١١١٥ هـ /١٧٠٣ م ارسل في طلب ٤٠٠ كيس اقجة لدفع رواتب الجند المحليين بسبب عجز خزينة الولاية .وذكر الرحالة تافر نييه بغداد في منتصف القرن السابع عشر آن عدد جوامع بغداد عندما ا زرها كانت خمسة، اثنان منها حسنا العمارة، وانه كانت فيها عشرة خانات كلها غير عامرة الا اثنين منها كانا أحسن من سائرها(والمدينة من حيث الحكم العام غير عامرة خالية من مظاهر الجمال عدا الأسواق المسقفة)..

اما ولاية البصرة، فقد انتهى حكم أسرة افراسياب في ١٠٨٠ هـ/ ١٦٦٩ م أثر حملة قادها والي بغداد قرة مصطفى وهرب على اثرها آخر امرائها حسين افراسياب، وبذلك ربطت الولاية بشكل مباشر بالدولة، ولكن الولاية كانت أوضاعها غير مستقرة وعانت موجات من الفوضى والاضطراب سببتها ثورات العشائر.

وقد تمكن مانع بن مغامس شيخ قبائل المنتفق من السيطرة على البصرة عام ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤ م ولم يتمكن والي بغداد من استعادتها، واعقب ذلك دخول حاكم الحويزة المدينة وضمها الى ممتلكاته عندما اعيدت المدينة للسيطرة العثمانية أثر حملة قام بها والي بغداد، بعد ان تقوى بنجدات عثمانية ارسلت الى العراق.

اما ولاية الموصل فقد استطاع الشاه عباس أثر احتلاله لبغداد في ١٦٢٣م من غزوها ومد سلطانه الى كركوك، ولكن الاحتلال الصفوي لم يدم طويلا، اذ تمكنت قوة عثمانية صغيرة يقودها(كوجك احمد باشا)من طرد الحاكم الصفوي(قاسم خان)، كما طردت القوات الصفوية من كركوك في مايس ١٦٢٠ م .

وبصورة عامة، كانت احوال ولاية الموصل أكثر استقراراً من أوضاع الولايات العراقية الاخرى، وقد ساعد ذلك على نشاط الحركة التجارية فيها بحيث فاقت مدن العراق الاخرى.